

أضواء البيان

. @ 66 @

أي طالبه . قوله تعالى : { إِنَّ زَنْدًا آمَنَّا بِرَبِّ زَنْدًا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهْ خَيْرٌ وَأَبْقَى } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن فرعون لعنة الله لما قال للسحرة ما قال لما آمنوا ، قالوا له : { إِنَّ زَنْدًا آمَنَّا بِرَبِّ زَنْدًا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا } يعنون ذنوبهم السالفة كال كفر وغيره من المعاصي { وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ } أي ويغفر لنا ما أكرهتنا عليه من السحر . وهذا الذي ذكره عنهم هنا أشار له في غير هذا الموضع . كقوله تعالى في (الشعراء) عنهم : { إِنَّ زَنْدًا إِلَى رَبِّ زَنْدًا مُنْقَلَبُونَ إِنَّ زَنْدًا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَتَوَّلَ الْهُمُومِينَ } ، وقوله عنهم في (الأعراف) : { رَبِّ زَنْدًا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّ زَنْدًا مُسْلِمِينَ } . وفي آية (طه) هذه سؤال معروف ، وهو أن يقال : قولهم { وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ } يدل على أنهم أكرههم عليه ، مع أنه دلت آيات أخر على أنهم فعلوه طائعين غير مكرهين ، كقوله في (طه) : { فَتَنَّا زَعْوًا أَمْ لَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى قَالَُوا إِنَّ هَذَا نَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيفَتِكُمُ الْغُمَّلَى فَاْجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى } . فقولهم : { فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا } صريح في أنهم غير مكرهين . وكذلك قوله عنهم في (الشعراء) : { قَالَُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَّا لِأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } ، وقوله في (الأعراف) : { قَالَُوا إِنْ كُنَّا لَنَّا لِأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } فتلك الآيات تدل على أنهم غير مكرهين .

وللعلماء عن هذا السؤال أجوبة معروفة :

(منها) أنهم أكرههم على الشخص من أماكنهم ليعارضوا موسى بسحرهم ، فلما أكرهوا على القدوم وأمروا بالسحر أتوه طائعين ، فإكراههم بالنسبة إلى أول الأمر ، وطوعهم بالنسبة إلى آخر الأمر ، فانفكت الجهة وبذلك ينتفي التعارض ، ويدل لهذا قوله : { وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ } ، وقوله : { وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ } .

(ومنها) أنه كان يكرههم على تعليم أولادهم السحر في حال صغرهم ، وأن ذلك هو مرادهم بإكراههم على السحر . ولا ينافي ذلك أنهم فعلوا ما فعلوا من السحر بعد تعلمهم وكبرهم طائعين .